نشاطات موسم الركود

بيروت ، من جورج شامي :

الصيف في لبنان ليس موسما ثقافيا، واصدق ما يقال فيه انه موسم الموات الثقافي ؛ لهذا فمن الصعب جدا ان نلمّ بالنشاط الثقافي في موسم يصح ان نطلق عليه لقب موسم التشتت والضياع . فطوال اربعة اشهر ونيف تتقاسم الادباء والفنانين والمفكرين ثلاثة مظاهر: البحر والجبل والسفر في طلب الاستطلاع والراحة . فتوقف الاندية نشاطها والجمعيات الادبية والفكرية حلقاتها ومؤتمراتها ، الا ما اقيم من مهرجانات تأبينية وتكريمية في قرى الاصطياف، ويتوقف المؤلفون عن طبع اعمالهم ، وتنصرف المطابع الى اعداد الكتب المدرسية استعدادا للموسم المقبل في الخريف ، بينما يعرض الفنانون عن اقامة المعارض ، الا ما ندر واقيم في احد فنادق الجبل .

والصيف محك تجربة يثبت بالدليل القاطع ان بيروت وحدها تستقطب النشاط الثقافي في موسم الشتاء ، ولا ينافسها فيه منافس. لذا تعمر بالنشاط ابان الخريف والشتاء ، وطرف من الربيع ،في حين يتوزع القيّمون على هذا النشاط في الصيف .

واذا كانت مهرجانات بعلبك تحاول في كل صيف منذ عشر سنوات حتى اليوم انقاذ الجفاف الثقافي بما تنظمه في بعلبك ، واخيرا في جبيل ، في اطار مهرجاناتها، من حفلات موسيقية وتمثيلية مستوردة، فقد حرمت جبيل هذا العام من اللفتة التي خصتها بها فرقة المسرح الحديث التابعة لمهرجانات بعلبك خلال سنتين متواليتين .

ولكن ، في حين غابت جبيل هذا الموسم عن ذهن لجنة مهرجانات بعلبك ، تطلع اللبنانيون نحو قمة في الشوف : تطلعوا نحو دير القمر ، حيث قدمت فرقة المسرح الحديث مسرحية يونسكو « الملك يموت » ، وهي من ترجمة انسي الحاج، ثلاث ليالٍ متواصلة في اطار تاريخي يعود الى حوالي ثلاثمائة سنة ، هو اطار سراي الامير فخر الدين المعني . ويعود الفضل هنا الى بلدية دير القمر التي استقدمت الفرقة لمناسبة مرور مائة سنة على انشائها كاول بلدية في العالم العربي . وكانت بيت الدين قد سبقت دير القمر بشهر وبعض الشهر، ولكن بفضل لجنة مهرجانات بيت الدين ، فشهد قصر الامير بشير قصة الامير تحكى بالاضواء والالحان بحضور الرسميين وفي طليعتهم رئيس الجمهورية، وكانت حفلة « الحان واضواء » في بيت الدين فاتحة الموسم الثقافي لهذا الصيف .

ويبدو ان المنافسة انتقلت ايضا – عبر انطوان ملتقى على رأس فرقة المسرح اللبناني، ومنير ابو دبس على رأس فرقة المعهد الحديث – الى الخارج في جهد مشكور يسير في خط متوازٍ لا في خط عكسي، مما يبعد عنصر التخريب. ففرقة المعهد الحديث مثلت « الملك يموت » في القاهرة ولاقت نجاحا ، وفرقة المسرح اللبناني مثلت «الازميل» في نانسي (فرنسا) ولاقت نجاحا . وهي ترسخ اليوم ، شعورا منها بان الشمال له جذور مسرحية، على ربوة راشانا – المتحف التحفة الذي تعاون الفنانان الشقيقان ميشال و الفريد بصبوص على خلقه . وتقدم الفرقة في كل عام ، كعادتها منذ اربع سنوات ، نشاطا مسرحيا بارزا تضطلع هي باعبائه مع نفر من المخلصين الشباب ؛ وكانت الخطوط التي سجلتها في نطاق عملها الفردي في نانسي جديرة بالتقدم ، ففي نطاق التقدير الذي نالته الفرقة تمكنت من الاتفاق مع فرقتين : واحدة ايطالية والثانية فرنسية ، للاشتراك في مهرجانات

راشانا ، التي ستشمل فيما تشمل مسرحية ايحائية . واذا كنت قد توقفت هنا قليلا فلأن فرقة المسرح اللبناني ستقدم في اوائل ايلول (سبتمبر) من هذا العام مسرحية لبنانية هي « الازميل » بالاضافة الى مسرحية مقتبسة ، باللغة العامية الدارجة .

وكانت جوائز جمعية اصدقاء الكتاب التي تمنح عادة في تشرين الثاني (نوفمبر) تجعل للصيف معنى ثقافيا ، اذ ينصرف كثيرون من الكتّاب والمؤلفين الى اعداد وطبع كتب لهم في الصيف للاشتراك بجوائز الجمعية طمعا بقيمتها المالية ، وهي الجوائز الوحيدة السخية التي تمنح للكتاب الذين دأبوا في موسم الصيف على العمل يجد النمل وتكديس مواسم للشتاء .

وما الطاقات والاعمال التي تبرز في الشتاء الا من زخم ما قد يخزن في الصيف . ففرنسوا خوري قد انصرف بعد اصدار مسرحيته الجديدة « الثمرة الفجة » الى اعطاء اللمسات الاخيرة لمسرحية « المجنون » ، بينما نفض سعيد عقل يديه من ثلاثة دواوين شعرية سيطلع بها قريبا على قرائه. وينصرف خليل رامز سركيس ، الدقيق الحريص المتأنق فكرا وكتابة ، الى تصحيح مسودات كتاب جديد ما زال يطوي اسمه بين حناياه. ويغرق انسي الحاج في اعداد مسرحية من وضعه .

ولكن الشيء الجدير بالتنويه ان جوائز اصدقاء الكتاب خلت هذا العام من جائزة ادبية : للقصة او للشعر مثلا ، معرّضها هذا التجاهل للادب الى نقد شديد . لكنها استحدثت ، لاول مرة ، جائزة للنقد الادبي وخاصة نقد الكتب: ففعلت حسنا، اذ ما يزال هذا الضرب من الادب من اهزل الضروب عندنا واحوجها الى التشجيع والمساندة .

وهذا الانصراف عن منح الجوائز للادباء ليس وقفا على جمعية اصدقاء الكتاب، فجائزة سعيد عقل ايضا لم تمنح حتى الآن الا مرة واحدة لشاعر، وما زال القصاصون ينتظرون .

هذا التجاهل لم يقف حائلا دون ظهور عدد من القصص والدواوين الشعرية في مطلع الموسم الجاف، بينها رواية لسليم نصار بعنوان « وسام على الوجه » ومجموعة قصص للور غريب بعنوان « اكليل شوك حول قدميه » ، ومسرحية جديدة لفرنسوا خوري بعنوان « الثمرة الفجة » .

اما الكتاب الاكثر استحقاقا بالتنويه ، بين ما ذكر وما لم يذكر ، فهو كتاب « عالم المخدرات » لامتثال جويدي . لقد كان هذا العمل مفاجأة وجرأة من فتاة تقحم نفسها في موضوع شائك ومتشعب ، لا لتقدم قصة بل عملا علميا اقرب الى الاطروحة ان لم يكن في مستواها، في حين عودتنا اقلامنا النسائية في معظمها على اعمال سريعة تدور على الحب والجنس والتمرد على التقاليد ، وهي في معظمها تافهة وحقيرة .

وقد شهد الموسم ظاهرة ثقافية طريفة جدا ، هي اقامة مباراة بين الاطفال على شاطىء الاكابولكو لبناء قصور من الرمال – وتدخل هذه الظاهرة في نطاق العمل المعماري البنّاء !

اما النكسة التي اصيب بها الموسم فهي اقفال « مقهى الصحافة » بداعي الافلاس ، وكان هذا المقهى طوال فصل الشتاء ملتقى كثير من الفنانين والادباء وشهد نشاطا مرموقا .

واذا كان لا بد من خاتمة ، فقد زار وفد يمثل مجلس المتن الشمالي الثقافي الرئيس حلو في ٢٠ تموز (يوليو) في مقره في عاليه ، وقدم له اعمال فيلسوف الفريكه ، امين الريحاني ، بمناسبة مرور ربع قرن على وفاته ، واطلعه على المهرجان الثقافي الذي سيقيمه المجلس برعاية فخامته في اوائل تشرين الاول (اكتوبر) المقبل ويستمر اسبوعا ويشترك فيه ممثلو الثقافة والفكر في لبنان والبلاد العربية الشقيقة وبلدان العالم . وبذلك يكون الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لوفاة الريحاني خاتمة موسم ميت وفاتحة موسم حافل بالاعمال الثقافية .